مجلة الرائد

العدد : ١٩٥ الموافق في رمضان ١٤١٨ هجري ١٩٩٧/١٢ ميلادي

عنوان المقال : دور المرأة في الدعوة	بقلم : أ. عدنان

جرت العادة في الأعوام الأخيرة أن يؤم المساجد في أوروبا مجموعة من الأوروبيين الراغبين في التعرف على الإسلام عن طريق الاستماع إلى المسلمين ، وهذه المجموعات متنوعة في السن وفي المستويات الثقافية ، ومن الأمور العادية في أوروبا أن تضم الذكور والإناث . ويقوم بواجب التعريف إخوة وأخوات مؤهلون أكثر من غيرهم : علماً ولغة واستعداداً للنهوض بهذا العمل المبرور .

وذات يوم كانت مجموعة كبيرة تجلس في قاعة المحاضرات ، وكان معهم من جانب المسلمين أخ وأخت يقومان بواجب الاستقبال والتعريف والحوار . وبعد أن فرغ المسلمون من صلاة المغرب اقترب مني شاب وقال : أريد أن أسألك ، هل ورد في ديننا أن امرأة تقف داعية في جماعة فيهم رجال ونساء ؟!. أعتقد أن هذا لا يجوز ، بل إن قوله ﷺ : « **لا تمنعوا إماء الله مساجد الله** » معناه أن الأصل هو منع المرأة من الذهاب إلى المسجد حتى لا تختلط بالرجال ، إلا إذا أرادت أن تسأل عن الضروري من أمر دينها ، وكان وليها عاجزاً عن تعليمها ، فتذهب للسؤال فقط .

قلت له : لست أدري هل تسألني أم تعلمني ؟!. ثم استفسرت منه : كيف تفهم هذا الموضوع ؟!

قال : لقد حرم الإسلام اختلاط النساء بالرجال ، ألم تقرأ قوله تعالى : { **وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب** } ؟! ، وحتى لا تقول لي : إن هذه خاصة بأزواج النبي ﷺ ، فأقول لك : لقد قرر العلماء أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب . وقد قرأت أن خير ما يفسر به قوله تعالى : { **وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب** } قوله ﷺ : « **إياكم والدخول على النساء** » قالوا : أرأيت الحمو ؟ . قال : « **الحمو الموت** » .

قلت له : ليست المشكلة فيك ، فأنت ما تزال شاباً ولا تسمح ظروفك ولا معلوماتك بمعرفة دلالة النصوص وأسباب النزول ، ولست مؤهلاً للربط بين نصوص القرآن وأحاديث الرسول الكريم ﷺ . ولكن المشكلة فيمن تجلس إليهم وتأخذ عنهم . فالآية [٥٣] من سورة الأحزاب تعالج مواضيع تتعلق بالرسول ﷺ وأزواجه رضوان الله عليهن ، يقول الله تعالى : { **يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يُؤذن لكم إلى طعام غيرَ ناظرين إناه ولكنْ إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إنّ ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق وإذا سألتموهنّ متاعاً فسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا**

عنوان المقال : دور المرأة في الدعوة	بقلم : أ. عدنان

أزواجه من بعده أبداً إنّ ذلك كان عند الله عظيماً } .

فهذه الآية - كما هو واضح من كلماتها - نهت المؤمنين عن دخول بيوت النبي ﷺ إلا بعد الإذن لهم بالدخول ، وإذا كان لأحد حاجة ، ولم يكن النبي ﷺ حاضراً ، فيجوز له أن يأخذها من غير دخول . وإذا قلنا : إن قوله تعالى : { **وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب** } عام يشمل جميع النساء ، فيكون المعنى : إذا كان لأحد حاجة في بيت أخيه أو صديقه ، ولم يكن في البيت أحد يجوز أن يأذن له بالدخول ، فإنه لا ضير في أن يأخذ صاحب الحاجة حاجته ولكن من غير دخول . أما قوله ﷺ : « **إياكم والدخول على النساء** » ففيه نهي عن الخلوة ، وحين استفسروا : أرأيت الحمو ؟ جاءهم الجواب : « **الحمو الموت** » مؤكداً أن هذا الحكم يشمل الأقارب من غير المحارم . فالموضوع بسيط جداً ولا يحمل المعاني التي تذكرها .

أما زعمك بأن قوله ﷺ : « **لا تمنعوا إماء الله مساجد الله** » معناه النهي عن الذهاب إلى المسجد إلا لتعلم الضروري من العلم فغريب عجيب ويدحضه أحاديث كثيرة ذكرت مشاركة النساء في صلاة الجماعة ، بما فيها صلاة الفجر !! ولا أرى حاجة للتفصيل في هذا الأمر لأنه واضح .

لقد سقت هذه القصة لأقول : إن العلم مسؤولية ، وعلى الذين يتصدرون مجالس العلم أن يحسنوا الفهم والتعليم سواء كانوا رجالاً أم نساء ، وعلى هؤلاء أن يستمروا في تنمية معرفتهم الشرعية ، وأن يعيدوا النظر في قواعد فهم النصوص ، فهذا ينقذهم من جمود المعرفة ويبعدهم عن أخطاء التلقي في مراحل العمر الأولى .

وهناك أمر آخر نطالب به الرجال والنساء ، وهو : إن أمتنا تمر بمرحلة تحاول فيها النهوض من عثراتها ، ونحن نؤمن أن النهوض الحقيقي لا يتم إلا باتباع منهج الفهم الإسلامي ، وهذا يلزمنا في هذه المرحلة التاريخية الحرجة بالتفريق بين دلالة النصوص وبين ثقافة الأجيال الماضية ، كما يلزمنا بالحذر الكبير من تسرب ثقافة الغرب التي قد تدخل متدثرة بثوب إسلامي ، وذلك حين يعمد بعضنا إلى تأويل النصوص لتنسجم مع ما استحسنوه من فكر الآخرين .

وندعو رجال الدعوة ونساءها إلى أن يأخذوا دورهم الشرعي في مجال الدعوة إلى الله عز وجل داخل بلاد المسلمين وخارجها... فهذا ينجيهم عند الله تعالى وتنتصر بهم دعوة الحق والخير .